مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 19 العدد01 2023/01/05

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

البعد الديني للحكاية الشعبية في منطقة باتنة

–مقاربة انثروبولوجية لحكاية حاتم طي–

The religious dimension of the popular tale in the Batna region - An anthropological approach to the story of Hatem Tay-

حاجي خلود[1]*

[1]جامعة وهران 2.–الجزائر

kawkaphilo@gmail.com

مرضي مصطفى[2]

[2]جامعة وهران2–الجزائر

mmordi1950@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/08 تاريخ القبول: 18/ 2022/02

ملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على الأبعاد الدينية للحكاية الشعبية في منطقة باتنة من خلال بناء مقاربة انثروبولوجية لاحدى الحكايات الشـــعبية ذات التداول المتكرر والملحوظ في منطقة البحث الا وهي حكاية "حاتم طي" نظرا للرمزية الدينية والاخلاقية والعقدية التي تتســـم بها. واثر ذلك في بناء المنظومة الاخلاقية للفرد إلى جانب الاثر النفسي العميق الذي تتركه في نفوس المتلقين لها.

كما أن الحكايات الشـعبية ســاهمت في تعميق الشـعور بالانتماء للمجتمع المحلي، إلى جانب أنها عملت على ترسيخ سلسلة العادات والتقاليد في اذهان الجيل الناشئ، ضف إلى ذلك انها عكست تلك البنى الاجتماعية التي تحكم المجتمع مشـكلة بذلك نسـق النواميس والقوانين الاجتماعية المتوارثة بين الأفراد هذا من شانه أن يساهم في تعميق البعد الديني و الانثروبولوجي والرمزي للحكاية الشعبية داخل اللاشعور الجمعي للأفراد،هذا ما توصـــلنا إليه من نتائج اعتمادا خلال جملة المقابلات البحثية التي اجريناها التي سنتطرق لفحواها في ثنايا المقال.

* **المؤلف المرسل**: حاجي خلود، **الايميل**: kawkaphilo@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الكلمات الدالة: الحكاية الشعبية،الراوي، الموروث الشعبي، المجتمع المحلي،الانثروبولوجيا.

Abstract:

This research paper aims to highlight the religious dimensions of the popular tale in the Batna region, by building an anthropological approach to one of the popular tales of frequent and noticeable circulation in the research area, namely the story of "Hatem Tay" due to the religious, moral and complex symbolism that characterizes it.

In addition, the folk tales contributed to deepening the sense of belonging to the community, in addition to establishing a series of customs and traditions in the minds of the younger generation, in addition to reflecting those social structures that govern society, thus creating the pattern of social norms and laws inherited between individuals, and this would contribute to deepening the religious, anthropological and symbolic dimension of the popular tale within the collective unconscious of individuals, this is the results we have reached based on the series of research interviews we have conducted We will address its contents in the article.

Keywords: Folk tale, narrator, folk heritage, community, anthropology.

مقدمة:

تعتبر الانثروبولوجيا حقل بحثي، يعنى بدراسة كل ما يصدر على الإنسان كماتعمل على بيان دلالات ذلك وفق تحليل رمزي ما يجعلها "بحث في المعنى" خاصة إذا تعلق بمنظومة القيم والعادات والتقاليد والطقوس الاجتماعية، إذ أن لكل جماعة بشرية اقانيمها الخاصة التي تشكل بطاقة تعريفية للمجتمع ،وهذا ما يبرر تركيز الدراسات الانثروبولوجية على الموروث الثقافي بنوعيه "المادي و المعنوي" وحينما نقول تبحث عما يصدر من الإنسان فهذا يجعل لها فروعا عديدة على حساب تلك الأبعاد التي تميز الذات الإنسانية، فنجد الانثروبولوجيا الطبية، الاقتصادية، الدينية، الاجتماعية والثقافية، والتي يدخل ضمنها مضمون هذه الورقة البحثية، حيث تندرج الحكاية الشعبية ضمن فلك الموروث الشعبي الشفوي إلى جانب الألغاز والأمثال الشعبية، الأغاني الشعبية، الموسيقى وغيرها من مكونات التراث الشعبي ولأن الدراسة الحقلية الميدانية كشفت لنا مدى حضور وتأثير الحكاية الشعبية على الممارسات والقناعات الذهنية والاجتماعية سلوكا لأفراد مجتمع الدراسة، لذلك كانت إشكالية البحث على النحو الآتي:ماهي الابعاد الدينية التي يمكن ان نستخلصها من الحكاية الشعبية "حاتم طي"؟وكيف يمكن قراءة الدلالات الرمزية التي

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تضمنتها متون هذه الحكاية الشعبية قراءة انثروبولوجية ؟ وحتى نجيب على هذه الإشكالية وضعنا جملة من الفرضيات:

*حضور التعاليم الدينية والاخلاقية ضمن سرديات الحكاية الشعبية "حاتم طي".

*استلهام افراد مجتمع البحث المبادئ الدينيةوالخلقية من نصوص الحكاية الشعبية.

*ارتباط النسق الرمزي في الحكاية الشعبية"حاتم طي"بالنسق الديني ودلالاته.لهذا جاءت اهداف هذه المقاربة البحثية هو الوقوف على مدى حضور وارتباط مقولةالديني بالحكائي،وكيف استطاع المخيال الشعبي ترسيخ جملة من الثوابت الدينية والعقائدية وحتى الأخلاقية داخل نسق الخطاب الحكائي،مستعينا ببعض الرموز الدينية لتعميق الاثر النفسي لدى الافراد.

اما فيما يخص المنهج المتبع فان طبيعة الموضوع هي التي تفرض على الباحث المنهج المناسب،لهذا وقع اختيارنا على المنهج الانثروبولوجي إلى جانب التحليلي، ذلك أن طبيعة الدراسات الأنثروبولوجية، قد تجمع بين عدة مناهج بحثية، يتم من خلالها تجاوز مقولة الحصار المنهجي إلى الانفتاح وتوظيف عدة مقاربات منهجية بما يضمن تحليل أكاديمي رصين، ولعل أهم ميزة في البحث الأنثروبولوجي: "أنه على الغالب بحث كيفي يستدعي في العمق والمعايشة الحلقية، ويستدعي أن ينخرط الباحث في دراسته انخراطا حقيقيا متقدا مما ينتج دراسات بحثية أنثروبولوجية تتمايز عن غيرها من التخصصات الأخرى (باشيخ، 2002 صفحة 38)، وهذا لغرض فهم الظاهرة الإنسانية التي تترجم سلوكياً، أو قولياً، فالإنسان هذا الكائن الرامز والثقافي والاجتماعي كما اتفقت على ذلك مجمل الأدبيات الفكرية هو العمق الذي تسعى الأنثروبولوجيا لتعقل نشاطه الثقافي والاجتماعي، والديني وغيرها، وإضفاء الدلالات عليه، كما يقول كلايدكلوهون: "إن الانثروبولوجيا تمسك بمرآة ضخمة أمام الإنسان وتتيح له النظر إلى نفسه ليرى ما فيها من اختلافات لا متناهية" (باشيخ، 2002 صفحة 05) ،أما المنهج التحليلي، فهو حاضر في كل ثنايا البحث، خاصة فيما يتعلق بالجانب النظري للموضوع، ضف إلى ذلك أن المنهج الأنثروبولوجي يعتمد على التحليل وذلك لا يتم إلا بالاستناد إلى تأويل النصوص الحكائية ومحاولة استنباط أبعادها الأنثروبولوجية، كذلك يسهل المنهج التحليلي بناء النتائج والتعمق في فهم مضمون الحكاية الشعبية.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أولا: مقاربة مفاهيمية تاسيسية لمفهوم الحكاية الشعبية:

1-مفهوم الحكاية الشعبية:

جاء لفظ الحكاية في "معجم التعريفات للجرجاني" على أنها« الحكاية عبارة عن نقل كلمة من موضع إلى موضع آخر بلا تغيير حركة ولا تبديل صيغة، وقيل الحكاية: إتيان اللفظ على ما كان عليه من قبل؛ أما الحِكَاية: استعمال الكلمة بنقلها من المكان الأول إلى المكان الآخر مع استبقاء حالها الأولى وصورتها» (الجرجاني، د ت صفحة 80) الملاحظ من هذا التعريف هو ارتباط لفظ الحكاية بـ "النقل" أي نقل اللفظ على حالته الأولى دون تغيير وهو المعروف على الحكاية عموما أنها نقل مرويات شخص عن شخص بتواتر زمني.

أما في القاموس المحيط جاء لفظ الحكاية على النحو التالي: « حكو: حَكَوْتَ الحديث أحكوه، وحكيت فلاناً، وحاكيته: شابهته وفعلت فعله أو قوله سواءً، وعنه الكلام حِكايةً: نقله » (آبادي، 2008 صفحة 380) ،من متن التعريف يمكن أن نقول أن الحكي أو حكى اختص بالحديث، كما أخذ منطق الإقتداء أو التقليد بمعنى من المعاني لأفعال وحديث الغير ويفيد ذلك معنى النقل كذلك.

ورد اللفظ ايضا في "قاموس محيط المحيط" لبطرس البستاني ما نصه كالتالي: «وما احكأ بصدري منه شيء أي ما تخالج» (البستاني، 1987 صفحة 186) ، ومعلوم أن ما خالج الصدر هو كناية عن تلك الأحاديث الداخلية التي تجول في خاطر الإنسان دون إفصاح عنها فهي تخالجه، فتأخذ شكل الكلام الجواني بين المرء وذاته، وحضور الكلام هنا واضح وجلي.

أما فيما الضبط الاصطلاحي، سنحاول تقديم جملة من المقاربات التعريفية لمفهوم الحكاية الشعبية، لنقف بعدها على المعنى الاجرائي لها المتعلق بمجتمع البحث، لهذا آثرنا أن تكون البداية بعميد الأدب الشعبي الأستاذ "عبد الحميد بورايو" الذي شكلت الحكاية الشعبية محور اهتمامه ومعرض كل انتاجاته العلمية، حيث يعرف هذا الأخير الحكاية الشعبية في مؤلفه "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" «الحكاية الشعبية شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي، والاجتماعي الذي يعيشه الشعب، وقد دفع تنوع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدة أنواع منها: حكايات الواقع الاجتماعي، الحياة اليومية، والحياة المعاشة، وحكايات الحيوان، والحكايات الهزلية، وحكايات الألغاز، وحكايات الواقع الأخلاقي ... وقد تجنب الباحث مثل هذه التعريفات لأنها تمثل شكل واحد هو الحكاية الشعبية» (بورايو، 1986 صفحة

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

118) ما يمكن أن تقف عليه من التعريف هو أن الحكاية الشعبية موضوعها لا يخرج عن الواقع المعاش للشعب ووصف واقعه التعيس والاجتماعي، كما يبين أن للحكي الشعبي عدة تصنيفات أوردها الباحثون حسب فحوى الحكايات الشعبية إلا أنها كلها تندرج تحت مسمى الحكاية الشعبية. كما تعرف الحكاية الشعبية على أنها «مروية شعبية نسجها الخيال الشعبي وتداولها الناس جيلا بعد جيل مضيفين لها ومحورين فيها، وهي كما تعرفها المعاجم الألمانية الخبر الذي يتصل بحدث قديم ينتقل عن طريق الرواية الشفوية من جيل لآخر، أو كما تصفها المعاجم الإنجليزية حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقية وتتطور مع العصور وتتداول شفاهاً ... وهي لا تحمل طابع القداسة وموضوعاتها تقف عند حدود الحياة اليومية والأمور الدنيوية العادية» (حسن، 2000 صفحة 48)،الملاحظ من جملة الحكايات التي استطعنا الحصول عليها أن أغلب أبطال الحكايات الشعبية هم من البشر أو الجن، ولا دور للآلهة فيها، لذلك كانت فحوى أغلب الحكايات حاجات الإنسان النفسية والانفعالية والاجتماعية التي ترنوا إلى تعويض إحساس القهر والضعف سواء أمام الطبيعة الأم، أو سلطة العشيرة أو القبيلة، أو سلطة النوازع الداخلية (الضمير، الحقد الغيرة) إلى جانب التركيز على صفة الشفوية لكونها الصفة المميزة للثقافة الشعبية، أما الباحثة "روزلين ليلى قوريش" فتذهب إلى أن الحكاية الشعبية« تعبير شفهي عن مكنون الإنسان وآماله منذ فجر التاريخ، كما تعرفها أنها ليست من تأليف كاتب معين، ولكنها ملك مشاع لجمهور عريض من الناس، الذين يتحدثون بلغة واحدة» (ليلى، 2007 صفحة 39) الميزة الشفوية للقصة الشعبية حسب روزلين إلى جانب تركيزها على عنصر التأليف، حيث أنها-الحكاية-ترجع إلى مؤلفها الأول المجهول لكونها تنتقل عبر الزمان للاقتداء، ولقيمتها دون النظر إلى واضعها الأول، فهي بذلك عالم الإنسان ذاته، على الرغم من ارتباط الحكاية الشعبية بالواقع الاجتماعي والنفسي وحتى التاريخي، فهناك من يعتبرها أيضا: «شكل من أشكال التأمل الفلسفي البدائي، والتعبير عن المشاعر الأساسية بالنسبة للإنسان كالحب، والانتقام والغضب، ولها القدرة على تغيير العالم والكون ... وهذا يجعلها سجل للكائن البشري و موروثه المادي والروحي ...» (سعسع، د.ت الصفحات 86-36) » وبهذا المعنى تكتسي الحكايات الشعبية بعدا كونيا انفتاحيا مع الإقرار بخصوصية الطابع الثقافي لكل مجتمع ويؤكد ذلك الباحث "ياسين النصير"، حيث اعتبر أن حكايتنا الشعبية القديمة منها والحديثة جزء من حكايات العالم، استوعبها العقل الإنساني وصيرها إلى أداة لفهم العالم والسر في بقائها هو وجه الحاجة لها (التجاني، 2014 صفحة 181) ،وكما يقول "مولود معمري" فيما

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

معناه «يجب التقاف الأقوال المأثورة قبل أن يختطفها الموت» (مجتمع منطقة القبائل في القرن الثامن عشر، 2002 صفحة 217)،خاصة وأن معظم الرواة الذين تعاملنا معهم كانوا كبار السن، يحتفظون بالموروث الحكائي كذاكرة حية متنقلة، وجب الوقوف على بنيتها ومعمارية الفن الحكائي الشعبي.

أما ماذا يطلق على الحكاية الشعبية كمسمى، فقد عملت على بيان اللفظ المرادف للحكاية الشعبية في مجتمع البحث وكيف تسمى لدى المبحوثين، ومن خلال المقابلات البحثية ثبت لدينا أن الحكاية الشعبية تعرف في منطقة باتنة باسم "المخارفة-المحاجية-وأحيانا أخرى حكاية"، يقول عبد الحميد بورايو بهذا الصدد: «يسمى المجتمع التقليدي في المغرب العرب الحكاية الخافية باللهجة العربية الدارجة حجاية وخرافة وخريفية وبالأمازيغية أما شهوس (بورايو، 1992 صفحة 07)» وعليه فإن اللفظ المستخدم في منطقة باتنة للتعبير عن الحكاية الشعبية أو الحكاية بشكل عام هو: "المحاجية، لمخارفة، حكاية".

اذن بعد محاولتنا الوقوف على الضبط الاصطلاحي لمفهوم الحكاية الشعبية، يمكن أن نقول وعطفا على ما سبق ذكره أن الحكاية الشعبية هي ذلك الموروث الشفوي المنقول والمتوارث عبر الأجيال، الذي يصوغ لنا حدثا أو مجموعة من الأحداث المتعاقبة، ينسجها الخيال الشعبي؛ فهي لا تخرج أن تكون مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي والنفسي، السياسي، التاريخي، الثقافي والهوياتي للشعب، يتم تداولها بغية ضرب المثل، أو الاقتداء، النصح والرشاد، أو الوعظ كما نساهم في الحفاظ على وحدة المجتمع وخصوصيته.

2 –انواع الحكايات الشعبية

إن إشكالية التصنيف للحكاية الشعبية، قد اثارت وسجال العديد بين العديد من الباحث والمفكرين، ولعل هذا راجع إلى عدم الاتفاق على مفهوم واحد للحكاية الشعبية، فالإطار الابستمولوجي للتسمية، كما مر علينا في قد اختلف فيه الكثير، بين من لا يفرق بين الحكاية الشعبية والحكاية الخرافية ومن يجعل الحكاية الشعبية سليل الأسطورة، وبين من يجعل الحكاية الخرافية الكل، وما الحكاية الشعبية إلا جزء أو نوع منها وعلى ذلك إذا جئنا إلى تحديد تصنيف عام وشامل للحكاية فسنواجه الكثير من التصنيفات، إما حسب الموضوع أو حسب النوع، وبين هذين المفهومين تصنيفات عديدة، وقد نوه الباحث "محمد سعيدي" إلى ذلك «الإشكال المعرفي الذي يواجه الباحث المهتم بموضوع الحكاية هو ما تعلق بالتسمية في حد ذاتها، حكاية شعبية-حكاية خرافية-حكاية شعبية خرافية ... ويذهب إلى اعتبار

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أن الحكاية الشعبية هي أيضا حكاية شعبية، وذلك لتقارب النصين ولاشتراكهما شبه الكلي في عناصرهما البنيوي هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدوا صعبا التمييز بين النصين ومعرفة الحدود الموضوعاتية والشكلية لكل واحد منهما» (سعيدي، 2006-2007 الصفحات 163-164).

هناك من الباحثين من وسع مجال الحكاية الشعبية، مما جعلها تحوي العديد من الأصناف القصصية الأخرى هذا ما أشارت له الباحثة سليمة عيفاوي نقلا عن الدكتور "عبد الحميد يونس": «يكون اصطلاح الحكاية الشعبية فضفاضا ليستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم على الأجيال، والذي حقق بواسطته الإنسان كثيرا من مواقفه، ورصد الجانب الكبير من معارفه، وليس وقفا على جماعة دون أخرى، ولا يغلب على عصر دون عصر» (سليمة، 2010 صفحة 190). لذلك سنحاول عرض أهم التصنيفات التي اشتغلت وانصبت على الموضوع، ونذكر هنا تصنيف "الكسندر كراب هجرتي" حيث وضع عدة أنماط منها: «حكايات الجان، الحكايات المرحة، حكايات الحيوان، الخرافة المحلية، الخرافة المهجرية، السيرة النثرية» (التجاني، 2014 صفحة 190)، أما الباحث الفلسطيني "عبد الرحمن عمر الساريسي"، فقد صنفها إلى: «حكايات الواقع الاجتماعين الحكاية الخرافية، الحكاية المرحة، حكاية المعتقدات الشعبية، حكاية التجارب الشخصية، حكاية الشطار». أما الباحثة المصرية "نبيلة إبراهيم" فقد تعرضت للتصنيف الخاص بالحكاية الشعبية في كتابها "قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، وشمل تصنيفها ما يلي «حكايات الواقع الأخلاقي، حكايات الواقع الاجتماعي، حكايات الواقع السياسي، حكايات تعبر عن موقف الإنسان الشعبي من العالم الغيبي، حكايات المعتقدات الحكايات الهزلية» (التجاني، 2014 صفحة 190).

كما أردف الباحث "حسن دواس" تصنيفا يعتمد على الاختلاف الذي يوجد بين الحكايات الشعبية من حيث الشكل والأبعاد، فمن ناحية الشكل هناك «الحكاية الشعبية ذات الأحوال التاريخية، الحكايات الغرائبية (حكايات الجن، حكايات الكنوز المختفية)، الخرافة على لسان الحيوان، أما من ناحية الأبعاد فهناك: "الحكايات التعليمية ذات البعد التربوي، الحكايات ذات البعد الديني، ذات بعد اجتماعي» (حسن، 2000 صفحة 74).

وقد رأى "فردريش فون ديرلاين" أن «الحكاية الشعبية والخرافية وأسطورة الآلهة وحكاية البطولة تتألف في عمومها من الموضوعات نفسها، ومن ثمة فإن الفرق بين الأنواع المختلفة للرواية الشعبية لا يتمثل

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

في الموضـوع ذاته ... إنما يجب أن تقوم التفرقة على أسـس أخرى» (ديرلاين، 2016 صـفحة 140) بالتالي عملية التصنيف لا تبنى على أساس المضمون أو الموضوع فقط، بل هناك دعائم أخرى للتصنيف منها الدافع النفسـي «حيث يذهب "رنك" إلى أن الدوافع هي الأصـل الكامن خلف القصـص الشـعبي وهي تحدد أنواعه» (بورايو، 1992 صـفحة 64)، وقد ذهب الباحث الجزائري "عبد الحميد بورايو" إلى معالجة إشكالية التصنيف في مؤلفه القصص الشعبي في منطقة بسكرة، حين قدم لنا أهم التصنيفات التي يكاد يجمع الباحثون على أنها تقوم على أسـاس المحتوى، إلى جانب عرضـه إلى التصـنيف على أسـاس الوظيفة، الدافع والخصـائص الفنية (الشـكل)ونوه إلى أن قضـية التصـنيف وعلى اختلافها فهي ترجع إلى الباحث، الذي تحدد الدراسة الميدانية مدونته القصصية، لذلك ميز "بورايو" في المادة القصصية التي تحصل عليها بين ثلاث أنماط رئيسية وهي:

1- قصـص البطولة: ومن أشـكاله: المغازي، قصـص البطولة البدوية، قصـص الأولياء الصـالحين (بورايو، 1992 صفحة 67)

2- الحكايات الشـــعبية: حكايات الحيوان، حكايات محلية، حكايات مرحة، حكايات الواقع الاجتماعي

3- الحكايات الخرافية: حكايات خرافية خالصـة، حكايات الأغوال (سـليمة، 2010 صـفحة 25).على هذا الاساس فان حكايتنا المعروفة باسم"حاتم طي"حسب هذا التصنيف تندرج حسب تصنيف عبد الحميد بورايو ضمن حقل الحكايات الشعبية.

ثانيا: المحددات البنائية للحكاية الشعبية

1-الراوي:

يعتبر الراوي محور العملية فمن خلال وجوده تكتسـب الحكاية حضـورها وتضـمن تداولها وتوارثها عبر الأجيال، فهو إذا أردنا أن نعرفه ذاكرة حية متنقلة تحفظ التراث الثقافي الشـفوي للمجتمع المحلي، هذا ما يجعلهم ضـــمن نطاق مجتمعاتهم مركز احترام، وحب وتقدير، خاصـــة لكون معظم الرواة في منطقة باتنة من كبار السـن، وأغلبيتهم من النسـاء، ذلك أن الرجال في مجتمع البحث يتداولون بينهم بعض الحكايات المتوارثة إما لأنها ذات طابع بطولي، وســـيرة بعض الأولياء الصـــالحين، ويمكن أن نعرف الراوي على أنه «شخصية مميزة تمارس الحكي والسرد بشغف منذ زمن بعيد» (واضح، 2007 صفحة 27)، كما وجدنا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

أن هناك من يسمي الراوي في منطقة باتنة "بالقوال" وهي مشتقة من القول، أو يسمونه بالمداح والكلمة مشتقة من مدح الرسول عليه الصلاة والسلام الذي غالبا يألف فيه مديح ديني، وهناك مثل شعبي متداول نحفظه على اعتبار أننا أبناء المنطقة فيقال عن انتهاء أمر معين "تقطع البندير وتفرقت المداحا" لأن المداح غالبا ما يستخدم الطبل (البندير) المصنوع من جلد الجمل أو الماعز (بورايو، 1992 صفحة 74، 84، 87)»، إن كلًا من القوال، المداح أو ما يعرف في مجتمع البحث "القصـــاص" يعمل على نقل الموروث الحكائي الشفوي، سواءً بقوله شعرا أو رواية نصا، فقد لاحظنا من خلال عملنا الميداني أن من يعرفون برواية الحكاية في منطقة باتنة معظمهم من فئة النساء اللواتي اشتهرن بالمخارفة أو المحاجية، ضمن المجتمع المحلي، وهذا ما أطلقنا عليه بعض المبحوثات حين سألنا عن نساء أخريات يجدن الحكي، فكان الإرشاد دوما لفئة النساء، وهؤلاء بدورهن يرشدننا إلى غيرهن، إن دور الراوي في البناء الهيكلي للحكاية الشعبية هو أنه يوافق بين موضوع الحكاية ومناسبة القص، لذلك كانت الأعراس، السهرات الرمضانية، من أبرز المناســـبات التي يجعل فيها إمتاع المتلقين بأجمل الحكايا، كما يعمل الراوي أحيانا على تكييف مضـــمون الحكاية مع ذوق المجتمع المحلي: «فالراوي يعتمد في مادته على الأقاصيص التي تناسب ذوق سكان البلاد والفترات التاريخية الحالية، فيعدل ويضيف حسب سعة خيالية وقوة ذاكرته ودقة لغته» (برباش، 2012 صـــفحة 91)، إن هذا التمكن من الحكاية، والقدرة على جعلها ديناميكية تحاكي الراهن يعتمد على ما يســـمى في الدراســـات الأدبية الملكة الروائية (الحس الروائي)، والذي تعني به "المعرفة الضـــمنية للنموذج الروائي" (بورايو، 1986 صـفحة 34)،هذا ما يجعلنا أمام نوعين من الرواة للحكاية الشعبية في منطقة باتنة وهما:

أ– الراوي المحترف

حيث «نقصد بالاحتراف هو اتخاذ الرواية كمهنة يحصل الراوي عن طريقها على مقابل مادي يمثل مصـــدر نقده (الطاهر، 1998 صـــفحة 57)» هذا النوع من الرواة، يعرف في منطقة باتنة بالقوال أو المداح، حيث أفادنا المبحوثين أنه في عهد الاستعمار الفرنسي كان هؤلاء دور جد مهم في توصيل الرسائل بين رجال المقاومة في الأوراس الأشم، حيث كانوا ينقلون رسائل نضالية خاصة داخل الأوساط الشعبية، بما يساهم في شحن الهمم والتشجيع على الثورة، وطلب الاستقلال إن هذا النوع من الرواة يكونون على قدر من الملكة الروائية، فهم يتحكمون في الحكاية، يكيفونها حســـب الجو العام، فيغيرون يحذفون وحتى

يبدعون ما يتوافق ومناسبة القص، وهذا لغرض إرضاء المتلقي، وضمان الحصول على المقابل المادي فهم يسايرون الأذواق الشعبية للمتلقين، وغالبا ما يكون المقهى، الحمام الرجالي، السوق الأسبوعي، الفضاء المكاني لهؤلاء حيث يكون الجمع غفير.

ب– الرواة غير المحترفين (الهواة):

هذا النوع من الرواة لا تعد الرواية بالنسبة لهم مصدرا لكسب الرزق حيث أنهم يتخذون "الرواية" حبا في التراث الشعبي الشفوي، وليس كسبيل الاسترزاق، لذلك غالبا ما يكون الرواة لهذا النوع من جنس النساء،ولعل تعليل ارتباط احتراف الرواية بالرجال وبينما تأخذ المرأة دورا بارزا بين الرواة، ذلك أن الفضاء الذي يمارس فيه الرجل الرواية، يكون فضاءً مفتوحا خاصا بالرجال فقط كالأسواق، الدكاكين، في حين أن المرأة تمارس الرواية داخل فضاء مغلق داخلي ألا وهو فضاء البيت. كما أن انتقال الرواية من الأم أو الجدة باعتبارها رواة غير محترفين، من شأنه أن يخلق لنا رواة محترفين، فالرواية فن يتوارث شأنه شأن العادات والتقاليد يحركه الحب، والشغف بالماضي، اذ تحفظه الذاكرة من الاندثار والنسيان. ومنه فالحكاية الشعبية في منطقة باتنة، تكتسب معناها وتترسخ في أذهان متلقيها بناءً على فعل الراوي، واحترافيته ومدى تمكنه من حيثيات القصة، وكيفية تكيفيها والفضاء الزماني والمكاني، ومناسبة القص، هذا ما يجعل منه محط أنظار واهتمام وتركيز ينقلك بكلماته وصوته، ودقة وصفه للشخصيات إلى تجربة شعورية معاشة، هذا بدوره يجعل الحكاية ميراثا روحيا، شفويا، متداول ومحفوظ ومنقول بين افراد المجتمع المحلي، مما يعني حفظ الهوية التاريخية.

2 – عنصري الزمان والمكان:

تكمن أهمية كل من الفضاء الزماني والمكاني تنبع من كونهما يمنحان النص الحكائي خصوصيته وطبيعة التفاعل معه والغاية المرجوة من ذلك، كل هذا في إطار بنيوي تضبطه قدرة الراوي واحترافيته في سر نص الحكاية الشعبية الشفوية، لذلك لاحظنا أن حدي الزمان والمكان يتحكمان في نوعية الحكاية، جمهورها، تحديد مناسبة القص «إذ أن عنصر الزمن يعد محوريا لأنه يعدد إلى حد بعيد طبيعته الحكائية، فالزمان والمكان عنصران يتفاعلان ويتبادلان التأثير التأثر والانسان باعتباره محورا للزمان والمكان فهو واقع تحت تأثير مزدوج» (برباش، 2012 صفحة 139) فقد لاحظنا أن هناك بعض الحكايات لا تقال صباحا وأخرى لا تقال في محضر الرجال، وأخرى تخص النساء دون غيرهم، وعن الفضاء المكاني للرواية فتحدده

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

طبيعة النص الحكائي مما يجعل منه إما فضاء مفتوح، أو مغلق (رجالي، نسائي، مختلط)، فالفضاء المكاني بدوره عنصر مركزي وأساسي غالبا ما يتوافق وحيثيات الحدث الحكائي ضف إلى ذلك أن تحديد الزمان والمكان متعلق بالبنية الاجتماعية للمجتمع فتحديدها راجع لمنظومة العادات والتقاليد والعرف السائدة، والاعتقاد الشعبي، كل هذه المعطيات من شأنها أن تتحكم في تحديد نوعية الحكاية، وموضوعها، وعليه «فالمكان والزمان هما من مكونات الفضاء الذي يتشكل فيه الوجود الإنساني ولكل بيئة خصائصها الطبيعية المناخية والجيولوجية، والأركيولوجية والأنثروبولوجية، كما لها ذاتيتها التاريخية والثقافية والحضارية» (التجاني، 2014 صفحة 357) ولا يقتصر الأمر هنا على الحكاية الشعبية وحسب بل إن لكل حكاية أو رواية فضائها الزماني والمكاني الخاص، يبقى البناء السردي للحكاية تحدده جملة من المحددات السوسيو-أنثروبولوجية، تكتسي نفس الأهمية لكونها ترتبط "بالراوي" واللغة التي يستخدمها.

3-خصائص اللغة السردية في بناء الحكاية الشعبية:

لأن الحكاية الشعبية بناء سردي قصصي يخضع بدورها إلى بناء لغوي رصين، يعبر عنه على وجهين يكملان بعضهما فاللغوي المتمثل في نسق الكلمات التعبيرات الملفوظة والمنطوقة، التي تمثل الجانب اللغوي الكمي للحكاية الشعبية على أساس أنها جملة كلمات، مفاهيم، أدوات ربط، سواء تم التعبير عنها باللغة الفصحى أو باللسان الدارج العامي وهو السائد على الأغلب أما الوجه الثاني هو الإشاري الذي يعتمد على جملة الرموز والإشارات، والإيماءات، ولغة الجسد التي تعد من حيث النشأة فطرية، فهي عامة ومشتركة بين الجميع، ولعلها قد تكون في بعض الأحيان كافية معبرة، بل ولها من الدلالات ما يجعلها أصدق من اللغة المنطوقة أو المسموعة، كما نجد جانبا آخر من شأنه أن يضفي على الحكاية بعدا رمزيا ويوثق المعنى، وهو الجانب الانفعالي، ولعلنا نلمس هذه الأخيرة-الانفعالات-من خلال نبرة الصوت في الحدة، الرفع، التخفيض، ومن أساليب الحسرة، الندم، الألم، الفرح والسرور، كما تنعكس من خلالها علاقة الخالق بالمخلوق في بعدها الإيماني التوحيدي، لينطلق بعدها الراوي في السرد والوصف، وبناء الحوار، وترجمة "المجرد" في اللغة كبنية ذهنية إلى ربطها بشخصيات سواء تأخذ صورة الإنسان، أو كائنات أخرى (الحيوانات، كائنات مفارقة (الغول، الجن، الشياطين، الملائكة)، فاللغة والملكة الروائية للراوي تستطيع أن تنقل المتلقي وجمهور المستمعين إلى عالم تلك الشخوص فتعيش تجربة وجودية بعيدا عن العالم الواقعي والمحسوس إنها تفتح بوابة الزمن على مصرعيه، لنجعل خيال الإنسان يسرح فيه، بما ينمي فيه عدة خبرات،

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ويكسبه نظرة تقييمية تقديرية لما قد يصادفه في عالمنا المعيش، كما أنها من خلال الرداء اللغوي الذي يكون في الغالب بلغة المجتمع المحلي، من شأنه أن يوثق الصلة والروابط الثقافية والهوية الانتمائية للمجتمع الأم، خاصة في ظل مجتمع رقمي مفتوح الأفق والأبعاد أمام محتوى عَولمي يعمل على تركيز وترسيخ النمطية الواحدة، و صناعة إنسان ذو بعد واحد.

ثالثا:التحليل الانثروبولوجي لحكاية"حاتم طي":

1-تجليات مقولة الدين ضمن سردية الحكاية الشعبية"حاتم طي":

جاءت هذه الحكاية الشعبية لتعبير عن قيمة وفضيلة أخلاقية هي " فضيلة الكرم والوجود" إلى جانب كونها تحمل معطى ديني دعى إليه ديننا الإسلامي الحنيف في القرآن الكريم، حيث تبدأ الحكاية بوصف الوضعية المادية المريحة لأحد رجال الدين أغناهم الله من فضله، فهم يملكون من الأغنام الكثير، "كان راجل وعندو ياسر الغنم –كانت القبيلة كامل تغار منو ويجيو يأكلوا عندو باش ينقص من عندو الخير.... واحد النهار قالولوا نحوسوا ناكلوا المخ... ملا راح ذبح غنمو كامل... وكل يوم يجيوه حتى ولى زوالي... وكي عاد الوقت راحو كاملين للتل إلا هذا المخلوق قعد هو وعيالو معندهمش فاش يركبوا... كانت الزوجة نتاعو تحط الحجر في الطنجرة وتقول لأولادها ذروك يطيب اللحم حتى يرقدوا" ولأن صاحب الكرم، يجود بما يملك، ولا يعرف النفي طريقا إليه، فإن هذا الشخص صاحب الغنم الوفير، كان لا يتوانى في ذبح الأغنام لأهل قبيلته، لأنه يعد ذلك كرماً وجودًا بل واجباً إنسانيًا "حيث أن متخيل الحكاية الشعبية...في حمولتها الثقافية من منظومة قيم تعبر عن خصوصيات التركيبة الثقافية والفكرية والاجتماعية للمجمع الجزائري عبر أزمان متعاقبة، وتبين أن متخيل الحكاية الشعبية الجزائرية يتأسس على ثلاث أقطاب هي: متخيل الجماعة (الشعب)، ومتخيل الذات (الراوي)، متخيل المتلقي"كما عكس نفس المقطع صفة أخلاقية تتمثل في الصبر والثقة في قضاء الله وقدره، وهذا بدوره يعكس مدى قوة الإيمان ونبله، ضف إلى ذلك بينت الحكاية قيمة أخلاقية أخرى وهي التفاهم والتكامل بين الزوجين " فالحكاية الشعبية لا تخلو من التحدث عن المرأة الطيبة الفاضلة والمكافحة في سبيل رعاية زوجها و أبنائها وبيتها خير رعاية، والهدف من إبراز هذه الصور هو تأكيد قيم المرأة المكافحة من أجل زوجها وأبنائها " (سنوسي، جوان 2012 صفحة 159). ولكن الحياة لا تقوم بالإنسان وحيدا، بعيدا عن غيره، فالتكامل والتكافل الاجتماعي شكل بدوره قيمة بارزة ضمن مستوى هذه الحكاية ولأنه دوما بعد العسر يأتي اليسر

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والفرج، فقد كان ميلاد الفرج واليسر مرهونًا، بالعسر ومكابدة بعض المشاق والظروف الاجتماعية القاهرة، خاصة بمجئ السلطان الذي خرج للصحراء مع ابنه المريض الذي عجز الطب في إيجاد حل لحالته، "كي شاف السلطان الخيمة، راح قاصدها وعيط يا صحاب الدار، خرج ليه "حاتم طي" وقالوا السلطان أنا راني ضيف، راح لمرتو وقالها كاش ما تطبخي للضيوف والله راح شايف حالنا .. .قالها هات هذاك الخيط واربطي بيه رجلي وشلطيلي بالموس وروحي سخني هذا الدم وجيبيه ... كي شم ابن السلطان الريحة، حل عينيه ... كي شاف السلطان حال ابنو قرر يزيد يقعد، وقعد حاتم طي هذوك اليومين يسيل الدم من يديه ورجليه ... غدوة من ذاك ناض ابن السلطان وطلع فوق العود هنا سقسى السلطان حاتم، وقالوا واش عطيت لابني حتان ارتاح ... قالو شفاه الله ... قالو السلطان بصح باين درت حاجة واش هي ... قالوا حاتم .. وكلتوا من دمي ". يصور لنا هذا المقطع أعلى مراتب الكرم والجود، وحسن الضيافة والمقام، فالضيف في المفهوم الاجتماعي المتداول هو "ضيف الله"، لهذا كان طيب مقامه واجبا اجتماعيا وأخلاقيًا، "ولعل المثل المتداول في المنطقة يعكس هذا حيث يقال "الضيف لا يشترط ومول الدار ما يفرط" فرغم العوز والفقر الذي يعيش حاتم طي فيه هو وأسرته إلا أنه لم يتوان في قبول إقامة الضيف، "ومنه فالحكاية الشعبية في مضامينها ترصد قيم الكرم والضيافة والجود، التي يجب أن يتصف بها الإنسان، وهذا إشارة منها على أن الطبقات الفقيرة رغم احتياجاتها إلا أنها تقوم بقيم الواجب اتجاه الضيف وتدل على الصفات الحميدة الكامنة في نفوس الشعب، فرغم المعاناة الاجتماعية إلا أنه محافظ على هذه القيم النبيلة" (سنوسي، جوان 2012 صفحة 168)،ولعل رمزية الدم هنا تعبر عن عمق الكرم والجود، لذلك نجد أن من العبارات الشائعة في مجمع البحث تعبيرا على الامتنان "لحم كتافي من خيرك". ولأنه كما تدين تدان فقد طلب السلطان من "حاتم طي" ان يطلب ما يريده "فعطاه المال لي كان عنده من قبل، والضعف وزاد جابلوا الغنم والإبل ومعها راعيها... راح حاتم ودا هذاك المال والغنم وأقصد التل... كي شافوه استغربوا...وقصدوا حاتم سقسوه منين جاك كل هذا الخير، رد عليهم وقلهم: تزل القرة والثلج يلي كان عاتم عنا قاع يذوب تقعد لا الحاجة الشينة في أهلها وربي على الخلق قاع ينوب". وفي هذا استحضار لمدى قوة الايمان بقضاء الله وقدره إلى جانب بيان تلك الثقة الايمانية بقدرة الله باحلال الفرج واليسر،هذا يجعلنا نقول "أن الحكاية الشعبية تقوم بدور كبير في تأكيد الروابط الاجتماعية ما بجعلها صدى وصوت الشعب، تقدم من خلاله معالم الحياة الفاضلة بطريقة غير مباشرة، فهي مرآة المجتمع وعليه تحرص على

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

تناول مجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب أن يتحلى بها الفرد، فهي تعكس رؤية المجتمع الذي يبحث عن نسيج اجتماعي أفضل وفي كنف اقتصاد أوفر" (سنوسي، جوان 2012 صفحة 170)،وما عكسته الحكايات الشعبية "حاتم الطي" يوضح لنا معنى الكرم والجود وحسن الضيافة، إلى جانب بيان أن فاعل الخير، حتى وإن تعكرت أيامه، فمصير العسر، أن يصبح يسرا تحت قاعدة كما تدين تدان "والدنيا دالات" والمال عملة تأتي وتذهب وبغيابها بيان يظهر معدن الإنسان الحقيقي، وهذا من شانه أن يعمق المعاني الايمانية بالقدرة الالهية،ويرسخ في نفوس المتلقين حسن الثقة بالله.

2-الدلالات الرمزية لحكاية "حاتم طي":

ا-الخروف:

غالبا ما كان حضور "الخروف" مخصوصا بطقس الفداء، ذلك أن نسق الحكاية الشعبية، غالبا ما يكون مربوط بالتوصيف الديني وقد عبر عن ذلك طلال أسد حيث يقول « يجب ألا ندهش عندما نجد أن الرموز أو النظم الرمزية التي تستدعي مشاعر نصفها بأنها دينية، وتلك التي تضع هذه المشاعر في إطار كوني هي الرموز نفسها» (أسد، 2017 صفحة 61) فغالبا ما يتم ذبح الخروف اعلانا للفرح، كما أنه تعبير عن الرجولة والفحولة، كما انه ضمن النسق الديني الاسلامي يمثل اساس شعيرة الأضحية، فتجد في المجتمع المحلي العائلات التي تعتمد على الرعي كمصدر للدخل الاقتصادي العائلي دائما، وكثيرا ما تخص خروفا (كبش) معين للأضحية في عيد الأضحى (عيد الكبير)، وهذا ما احتفت به الحكاية الشعبية، فالنهايات السعيدة ختامها، ذبح كبش حنيذ كما لا يقتصر وجود "الخروف" على العيد فقط، بل في كل المناسبات الاجتماعية حتى الحزينة (الزواج، الختان، الولادة، النجاح، الموت). ويمكن تفسير حضور الخروف (الكبش)، أن حضور الرمز الحيواني المتمثل في "الخروف" ضمن معظم الحكايات المتداولة في منطقة باتنة يعود إلى طبيعة المنطقة الجغرافية والظروف البيئية والمناخية، لهذا زاول الفرد الشاوي والعربي على نحو سواء، نشاط الرعي، إلى جانب الفلاحة،نتيجة توفر المياهو الكلا، فالشاوية إنما سموا بذلك إلا لكونهم يمتهنون الرعي بالشياه، فالخروف بهذا المعنى يحظى بمكانة روحية (قدسية) واقتصادية وحتى رمزية وبه تتوثق العلاقات الاجتماعية بين القرى والقبائل.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ب–الجبل:

اقترن ذكر"الجبل" في إطار ترسيخ تلك العلاقة الوثيقة بين الانسان والطبيعة، فالجبل كما هو معروف مصدر للخشب المعد للتدفئة ليالي الشتاء، كما أنه منبع للماء التي من خلالها تنفجر ينابيع لسقاية الأراضي الفلاحية لكن «إذ أن تموقع الانسان في المكان...لا تتحكم فيه دوما معطيات قابلة للتحليل على ضوء منطق براغماتي، ففي كثير من الأحيان تتدخل البنيات الرمزية الأسطورية المترسبة في وعي الجماعة لتتعرض رؤية ما دون أخرى» (بوحبيب، 2013 صفحة 175)، إن حضور الجبل ضمن متون الحكاية الشعبية يرجع أولا إلى طبيعته التضارسية، إذ أنه رمز للشموخ ثانيا يشكل الجبل مهربا للإنسان للاختلاء بنفسه، إلى جانب كونه مصدرا للعديد من الخيرات الطبيعية التي يحتاجها،«إن الجبل يندرج في جملة الصور التي تعبر عن الصلة بين السماء والأرض، وإننا لنجد كثيرا من الثقافات تكي لنا عن جبال أسطورية أو واقعية تقع مركز الأرض ... أو كما يسمى "سرة الأرض" إن هذا التصور يترجم تلك المرحلة التي اعتمد فيها الانسان على التفسير الأسطوري والميتافيزيقي المتعالي فيما يتعلق بظواهر الكون، خاصة حينما يعجز على التحكم فيها» (أليلد، 1987 صفحة 39) كما أنه لا يمكننا أن نغفل دور "الجبل" في تخفيف وطأة التعب والإرهاق النفسي،«حيث أنه من أكثر مظاهر الطبيعة تأثيرا الجبال والبحر خاصة، والتي لها تأثير ممزوج يجمع بين الألم والخوف والهيبة لدى الإنسان» (صالح، المجلد 12 صفحة 34). كما أن الدين الاسلامي، نظرا إلى الجبل نظرة تقديسية، حيث جاء ذكره في العديد من الآيات القرآنية وحتى في الأحاديث النبوية، كما ربطت الأمانة بالجبال وهذا دليل على القيمة والأهمية التي تكتسبها الأمانة، فالجبل جاء كرمز للقوة والشموخ والأنفة،فذكر الجبل جاء في معرض بيان القوة الشموخ والعلو أما السنة النبوية فقد كان لجبل أحد مكانة خاصة لدى النبي صلى الله عليه وسلم عن جبل أحد «هذا جبل يحبنا ونحبه» (كعوان،، 2020 الصفحات 280-281) إلى جانب جبل عرفة، الذي يعد من أبرز الشعائر والطقوس التي تقام بالحج.

من خلال جملة هذه المقاربات حاولنا بيان دلالات توظيف "الجبل" كمعطى رمزي في التوظيف الاجتماعي والسياقي اليومي وداخل نص الحكاية الشعبية «فالجبل في الثقافة الشعبية يعبر عن الرجولة والأنفة والشموخ والاعتزاز بالنفس...حيث ينتصب الجبل مثل الفحولة التي تجعل الجزائري يش في كل شيء إلا فحولته...ولهذا فالجبل في مخيال الجماعات يثير معاني الرجولة أو بلغتنا الدارجة الرُّجلة»

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

(كعوان،، 2020 صفحة 280)، وعليه يبقى أفق البحث عن دلالة توظيف الرمز مفتوحا نحو مقاربات تأويلية أخرى تحتفي بالرمز الطبيعي حسب السياق العام للنص «وفي الحكاية الشعبية يحضر الجبل بشخوصه ومعالمه المورفولوجية وأبعاده الأنثروبولوجية وهو قائم فيها على بعدين واقعي وعجائبي ويمزج بين الحميمية والعدوانية» (أمحدوك، 2020 صفحة 103).

2 –الوظيفة الدينية والتربوية للحكاية الشعبية :

ان استقاء القيم والمبادئ الأخلاقية الفاضلة، ونبذ الرذائل كان للمحاجيات والحكايات، دور بالغ الأهمية في تأكيدها وتوطينها في نفوس المتلقين،ففعل التربية مربوط بالحكاية الشعبية، فالأم أو الجدة وحتى الجد والأب كل من موقعه يساهم في تربية الجيل الناشئ باعتماد الحكايات والمحاجيات؛ إنها أسلوب تربوي تعليمي عالي ويتجلى الدور التعليمي للحكايات الشعبية من خلال تعليم المبادئ الدينية، فالكثير من الحكايات على غرار حكاية "حاتم طي" مضامينها تحوي تعاليم دينية مقدسة (طاعة الوالدين، الكلمة الطيبة، تقدير النعم،الايمان بالقضاء والقدر...الخ) «حيث طرحت هذه القصص وفق منظور إسلامي إذ يحرك سياق القص عاطفة الطفل نحو حب الله والأنبياء والرسل، ومناصرة الأفكار التي أتو بها، ومعارضة الأفكار النقيضة ويتضح هذا من خلال ثنائية الخير والشر والتي تنضوي تحتها هذه الثنائيات: (الكفر/الإيمان)، (المسلم/الكافر)» (لعريط، 2003 الصفحات 60-61)، وهذا بدوره يعكس قيمة السرد الحكائي في بناء الخلفية الدينية للفرد، داخل الفضاء المنزلي المغلق إلى جانب المسجد، دورا هاما في ترسيخ القيم الأخلاقية الفاضلة، «فالحكاية الشعبية بمختلف مضامينها حملت من التوجيهات والارشادات إلى السبل المثلى في الحكم والبقاء، ودعت إلى التعاون والسعي إلى الخير والبعد عن الشر...فساعدت بذلك على رسم صفات الانسانية الأصلية، كما ساعدت أيضا على توفير الظروف الملائمة للعمر، والتطلع إلى التعرف على أسرار الطبيعة وحل غموضها ورموزها» (عثماني، سبتمبر 2015 صفحة 72)،فالحكايات الشعبية تعمل على الارتقاء بالفرد أخلاقيا، إذ أنها تمثل الناقد للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وحتى الأخلاقية الذميمة، ببيان مدى هشاشتها، وعدم فعاليتها في بناء المجتمع الانساني على أسس منطقية ومتماسكة بما يضمن استمراريته، فتأتي سردياتها، لتحاول إزالة اللاأخلاقي وتبين أن صراع الخير والشر أزلي، وأن الشر مهما علت وطأته إلا أن النهاية دوما انتصار للخير والمثل العليا، فبقدر السمر والتسلية التي نشعر في استماعنا للحكايات الشعبية، إلا أن هذا لا يحيد على وظيفتها التربوية والتعليمية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

«فحكايات الجدات ليست ترفا زائدا تقدم التسلية المحببة للأطفال فقط، بل هي قائمة على ثنائيتي الواقع والخيال الواقع الذي حمل تراث الأجداد، وحفظ فضائلهم، والخيال الذي يشكل زاداً لا يخلو من القيم الأخلاقية والعظات التربوية «فالحكاية تعتبر الدافع الأساسي لهذه الأخلاق الحميدة كالوفاء، والصبر على المآسي والتريث في معالجة الأمور ومساعدة المحتاج، والمحافظة على الصديق...ومنها يعرف الطفل الخير وقدره والشر وفظاعته» (سعاد، خريف 2016 صفحة 234)، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه الوظيفة التعلمية للحكي الشعبي، وقد وضح "عبد الرحمن الساسي" ذلك بقوله: «إن الوظيفة التي أجمع عليها علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلكلور هي الوظيفة التعليمية لك أنها توجه الطفل منذ الصغر...إلى جانب كونها تحارب القيم الاجتماعية من بخل أو كسل أو خيانة...» (عثماني، سبتمبر 2015 صفحة 72). لأجل ها كانت الحكايات الشعبة إلى وقت غير ببعيد تندرج ضمن المقررات التربوية للتدريس نظرا لدورها التربوي والتعليمي؛ وكونها تساهم في الحفاظ على ذلك التواصل الفكري بين الماضي والحاضر والتأسيس للمستقبل هذا يجعلنا نقول أن «أن الحكاية الشعبية كظاهر من الظواهر التراثية الثقافية تمتاز أبعاد تواصلية تدور حول اللغة والاجتماع والثقافة والاقتصاد وغيرها كثير» (مدرصي، 2005 صفحة 130) ، وعليه إذا أردنا إنشاء جيل صالح، فلا منأى لنا عن نصوص الحكايات الشعبية فهي تربي وبعمق وتحفظ الماضي والتراث التاريخي بحب، إذ تجعل المتلقي يحي الماضي فكريا، مما يجلها أسلوب ومنهج تربوي وتعلمي بامتياز، خاصة في مجابهة التيار العولمي الجامح.

خاتمة:

في الأخير يمكن ان نستخلص أهم النتائج التي توصل اليها البحث: فالحكاية الشعبية تعد تصميما لغويا شفويا يعكس التركيبةو الخصوصية الدينيةو الاجتماعية و القيمية الاخلاقية والاقتصادية التي تخص منطقة "باتنة" ،فقد رسمت نظرة المجتمع المحلي لمقولة الدين وأهميته في الحفاظ على تماسك الحياة الاجتماعية،كما انها مكنتنامن فهم الموروث الثقافي الاجتماعي،في ظل علاقته بالمقدس وتجلياته وكيف يعمل المخيال الشعبي على ترسيخ المبادئ الدينية في نصوص حكائية تصون التراث الشعبي والمحلي للافراد كما ترنو إلى ضمان قداسة المعطيات والقيم التي تحملها بما يضمن بناء مجتمع اسلامي اخلاقي افراده متشبعون بالتعاليم الدينية الاسلامية. لهذا لابد من تركيز الجهود والدراسات الانثروبولوجية في دراسة الموروث الشعبي نظرا لأهمية ذلك في حفظ التاريخ الشفوي للامة ،خاصة في ظل الغزو التقني

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

والتكنولوجي،مما يدعو إلى ضرورة تركيز الجهود البحثية في ميدان الانثروبولوجيا نحو استقراء ودراسة نصوص الحكايات الشعبية،لكونها تمثل عمق وحقيقة المجتمع في ظل الانفتاح العولمي المدجج على الافراد.

قائمة المراجع:

الكتب :

1. أسماء باشيخ، 2002، الأنثربولوجيا والصحراء ، ط1، دار الأيام، عمان.
2. حفيظة مدرصي، 22-23 سبتمبر 2005، الحكايات الشعبية: تربية وتواصل بين الماضي والحاضر، سلسلة ندوات "الحكاية الشعبية في التراث المغربي"؛ الرباط.
3. حميد بوحبيب، 2013، الشعر الشفوي القبائلي السياق والبنيات والوظائف مقاربة أثروبولوجية، دار التنوير، دط، الجزائر.
4. دواس حسن ، 2000،حكايات السمراء مختارات من الحكايا الشعبية الافريقية، منشورات البيت، الجزائر.
5. طلال أسد، 2017،جينالوجيا الدين الضبط وأسباب القوة في المسيحية والإسلام، ترجمة محمد عصفور، دار المدار الاسلامي، ليبيا طرابلس.
6. عبد الحميد بورايو الطاهر ،1998 ، البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
7. عبد الحميد بورايو، 1992،الحكايات الخرافية للمغرب العربي-دراسة تحليلية -في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، ط1، دار الطليعة، بيروت.
8. عبد الحميد بورايو، 1986،القصص الشعبي في منطقة بسكرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
9. فردريش فون ديرلاين، 2016،الحكاية الخرافية-نشأتها-مناهج دراستها-فنيتها،ط1 ، دار رؤية للنشر.
10. قريش روزلين ليلى،2007،القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعي، الجزائر.
11. محمد سعيدي، 2006-2007،الأنثروبولوجيا بين النظرية والتطبيق-دراسة في مظاهر الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان بلقايد، الجزائر.
12. مرسيا ألياد، 1987،المقدس والدنيوي، رمزية الطقس والأسطورة، تر: نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر، ط1، دمشق.
13. مسعودة لعريط ، 2003،قصص الأطفال في الجزائر-دراسة موضوعاتية-، الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، دط، الجزائر.

معاجم وقواميس :

1. بطرس البستاني، 1987 ،قاموس محيط المحيط ،مكتبة لبنان، بيروت.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني ، د ت، معجم التعريفات ، دار الفضيلة،القاهرة.
3. الفيرو آبادي، 2008، القاموس المحيط، دار الحديث،القاهرة.

المقالات :

1. بولرباح عثماني، سبتمبر 2015،الحكاية الشعبية الجزائرية: قراءة في الوظائف والدلالات، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور الجلفة،العدد15.
2. جلال معوش، 2020، اشتغال متخيل الحمولات الثقافية في الحكاية الشعبية الموجهة للطفل في الجزائر،مجلة اشكالات في اللغة والأدب، المركز الجامعي لتامنغست، مجلد 09،العدد 01.
3. خالد سعسع،دت،الحكاية الشعبية التارقية، مقاربة أنثروبولوجية، مجلة مخبر التراث اللغوي والادبي في الجنوب الشرقي الجزائري،جامعة قاصدي مرباح ورقلة،المجلد01،العدد06.
4. سعيدي سعاد،خريف 2016،الطفل والتراث الشعبي "الحكاية الشعبية أنموذجا"، مجلة آفاق فكرية، جامعة سيدي بلعباس،العدد05.
5. عبد الغفور نصر الدين، فارس كعوان، مارس 2020،تأثير التضاريس في علاقة القبائل الممتنعة بالسلطة في الجزائر خلال العهد العثماني الجبل أنموذجا، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، المجلد 10، العدد01.
6. محمد أمحدوك، براديغيم الجبل في الحكاية الشعبية الأمازيغية المغربية الأطلس المتوسط المركزي أنموذجا، مجلة الدراسات الأمازيغية،الجزائر،العدد07.
7. نعيمة عزي صالح، الانسان والجبل: الدلالات والمعاني النفسية للجبل (دراسة تحليلية)، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، المجلد 12، العدد01.

ملتقيات :

1. بوجمعة أيزيري، 2002،مجتمع منطقة القبائل في القرن الثامن عشر. أعمال الملتقى الوطني مظاهر وحدة المجتمع الجزائري من خلال فنون القول الشعبية ، دار الأمل، تيارت.

الرسائل الجامعية:

1. أحمد التجاني، 2014،الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، رسالة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة 2014، الجزائر.
2. برباش مريم، 2012،مذكرة ماجستير الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، دراسة ميدانية، جامعة مسيلة.
3. صليحة سنوسي، جوان 2012،السلوك الاجتماعي والقيم الأخلاقية في الحكاية الشعبية في الغرب الجزائري، دراسة اجتماعية أدبية، رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.
4. عائشة واضح، 2007،القصص الشعبي في منطقة غليزان جمع ودراسة، مذكرة ماجستير،جامعة أبي بكر بلقايد، تلسمان.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

5. عيفاوي سليمة، 2010،الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة،الجزائر.
6. مريم برباش، 2012،الحكاية الشعبية في منطقة المسيلة، مذكرة ماجستير، جامعة مسيلة، الجزائر.